المحاضرة الثالثة: التحليل النفسي الاجتماعي(هورني، سوليفان، فروم)

- **مقدمة:**

في هذه المحاضرة ننتقل إلى جيل جديد من المحللين النفسيين الذين عرفوا بـ"الفرويديين الجدد"هؤلاء العلماء، رغم انتمائهم لمدرسة التحليل النفسي، إلا أنهم أعادوا صياغة مفاهيمها لتتناسب مع الواقع الاجتماعي والثقافي. ركزت كارين هورني على القلق الناتج عن العلاقات الأسرية، وهاري ستاك سوليفان على التفاعلات بين الشخصية، وإريك فروم على العلاقة بين الفرد والمجتمع والحرية.

أولا: كارين هورني والقلق الأساس

كانت هورني من أوائل من انتقدوا فرويد في نظرته للمرأة، وأكدت أن العوامل الثقافية أهم من البيولوجية في تفسر الفروق بين الجنسين(عسكري،2017). حيث تساءلت عن صحة مفاهيم فرويد مثل الغرائز الجنسية ، النظرة الأوديبية، وحسد القضيب، كما اعتبرت أن الفروق النوعية والمراحل الجنسية النفسية ليست عامة وحتمية، بل مرتبطة بالثقافة (الأوروبية الأمريكية)، ورفضت الافتراض الفرويدي حول ماسوشية النساء وبرودهن، وأرجعت ذلك لعوامل مرتبطة بالخلفية الأسرية والظروف الاجتماعية، كما انتقدت اهتمام فرويد للميول الاجتماعية، واعتبرت الاستمناء سلوكا عاديا من أنماط السلوك الجنسي.

1. القلق الأساسي(Basic AXIETY):

ينشأ القلق الأساسي من شعور الطفل بالعزلة والضعف في عالم يحتمل أن يكون معاديا، إذا فشل الوالدين في توفير الأمان والمحبة، يطور الطفل القلق الذي يدفعه لتبني استراتيجيات دفاعية(عبد الرجمن،2020).

2. الحاجات والتوجهات العصابية(Neurotic Trends):

تتضمن الحاجات العصابية عند هورني إلى الحاجة للعاطفة والموافقة، الحصول على شريك، القوة، استغلال الآخرين، الاعتراف الاجتماعي، الإعجاب الشخصي، الانجاز، الكفاية، والكمال(عسكري،2017)

قسمت هورني استجابات الأفراد للقلق إلى ثلاثة أنماط:

- **التحرك نحو الناس(Moving Toward People):** بناء الشخصية على أساس للحب والقبول والاعتماد على الآخرين، فهي الشخصية الودودة والمذعنة التي تسعى للمحبة والقبول بأي ثمن.
- **التحرك ضد الناس(Moving Against People):** بناء الشخصية على أساس القوة، والسيطرة، والاستغلال(العالم غابة والبقاء للأقوى)، فالشخصية العدوانية التي ترى العالم مكانا للصراع وتسعى للقوة والسيطرة.
- **التحرك بعيدا عن الناس(Moving Away From People):** الشخصية المنعزلة التي تسعى للاستقلال التام وتجنب الارتباط بالآخرين(منصور،2019).
- **مثال:** الشخص الذي يوافق دائما على طلبات ا آخرين حتى لو كانت على حسابه(التحرك نحو الناس)، يفعل ذلك كآلية دفاعية لحماية نفسه من الشعور بالرفض أو الوحدة.

3. الصراع بين الذات الحقيقية والمثالية:

تقف الصورة المثالية للذات كنظام صناعي في مواجهة الذات الفعلية(الشخص والذات الواقعية)، يحدث الصدام بين السلوك الفعلي والذات المثالية، مما يؤدي للجوء إلى ميكانزمات مثل: البقع المظلمة، الإظهار أو التجسيد، والمراوغة أو السخرية(Friedman,2020).

ثانيا: هاري ستاك سوليفان والعلاقات بين الشخصية

يرى سوليفان أن الشخصية ليست كيانا ثابتا داخل الفرد، بل هي" النمط المستقر نسبيا من المواقف المتكررة بين الشخصية". أي يعتبر الشخصية كيان افتراضي لا يمكن دراسته بمعزل عن العلاقات المتبادلة.

كما يرى سوليفان أن الشخصية هي نظام الذات، وقد افترض وجود نوعين من التوترات: الحاجات الجسمية والقلق الشخصي البيني، فالتوتر عند الرضيع يستحث التوتر عند الأم، والتي تخبره كمصدر للرقة والحنان والذي بدورها يجعلها تفي بحاجات الرضيع، والتفاهم هو طريقة التي يشارك من خلالها الرضيع الشخص الآخر في توتره. افترض سولفيان ثلاثة كيفيات من الخبرة:

- **الكيفية الإدراكية الانفعالية:** تتضمن الحديث ولكن مع القليل من الروابط المنطقية.
- **الكيفية التركيبية:** تستدعي استخدام المعاني المختلفة(Hall&Lindzey,1978).

1. بناء الشخصية: يرى أن الشخصية تتشكل من خلال:

1.1. نظام الذات(Self –System):

هو مجموعة من العمليات الأمنية التي يطورها الفرد لتقليل القلق والحفاظ على تقدير الذات، أي هو حارس الأمن في الشخصية لحماية الفرد من القلق في علاقته مع الآخرين. تتكون من ثلاث تمثلات:

- **الآنا الجيدة أو الذات الطيبة(Good-Me):** التصرفات التي تجلب الرضا والقبول من الآخرين، التصرفات التي تجلب القلق والرفض.
- **الأنا السيئ أو الذات السيئة(Bad Me):**الجوانب المرفوضة تماما والتي يتم إنكارها أو إسقاطها.
- **اللا-أنا أو ليس –أنا (Not-Me):**الجوانب المرفوضة تماما والتي يتم إنكارها أو إسقاطها(Schustack,2013).

مثال: الطفل الذي يلاحظ أن والديه يبتسمان عندما يكون هادئا، يدمج" الهدوء" في (الذات الطيبة) كجزء أساسي من بناء شخصيته لضمان القبول الاجتماعي وتجنب القلق.

3.1. مراحل التطور:

قسم سوليفان تطور الشخصية إلى مراحل تركز على نوع العلاقة الاجتماعية السائدة(الرضاعة، الطفولة، الصبا، ما قبل المراهقة، المراهقة المبكرة، المراهقة المتأخرة ، الرشد).

- في الرضاعة، تصبح خبرة الاتصال بين حلمة الثدي وشفتي الرضيع مع شخصية الأم خبرة مركزية.

- يتعلم الطفل في المنزل ما ينطبق على حياته مع الأقران، وخلال مرحلة ما قبل المدرسة المراهقة يصبح الطفل حساسا بدرجة أصيلة إلى حاجات الآخرين.
- خلال المراهقة المبكرة، تطور مشاعر الغلمة والشهوة الجنسية وتتبلور أحاسيس الرقة والحنان نحو شريك جنسي(عسكري،2017).

ثالثا: إريك فروم والهروب من الحرية

ربط فروم بين علم النفس وعلم الاجتماع، معتبرا أن الإنسان الحديث يعاني من " الاغتراب" بسبب الحرية التي منحته إياها الحضارة الحديثة دون أن تمنحه الانتماء. كما ركز فروم على ما اسماه " اللاشعور الاجتماعي" ، وهو تأثير الثقافة والمجتمع على تكوين شخصية الفرد دون وعى منه،أي أن اللاشعور الاجتماعي هو كيف تشكل الثقافة طابعا قوميا للأفراد(منصور،2019).

مثال: يرى فروم أن الثقافة التي ينشأ فيها الفرد تجعله يعتقد أن الطريقة التي يتصرف بها الناس في مجتمعه هي" الهيئة الطبيعية للأشياء"، بينما هي في الحقيقة نتاج بناء اجتماعي محدد.

1. آليات الهروب من الحرية:

يرى فروم أن لكل منا إطارا للتوجيه وهو الخريطة المعرفية لعوالمنا التي تسعدنا على إضافة المعنى على الأمور المحيرة والمربكة، والصلة هي الحاجة إلى الاتحاد مع الكائنات الحية الأخرى،أيضا الحب الناضج مقابل التكافلية أي للاتحاد يأخذ صورتين تكافليتين الصورة المازوشية أو الصورة السادية. والبديل الإيجابي هو الحب الناضج الذي يتضمن اتحادا مع ا آخرين ولكنه يصون وحدة الشخص وتكامله. بالإضافة إلى التسامي و الإبداع فالتسامي هو فعل الانتقال أو التحول من الدور السلبي إلى الدور المبدع، وبديل الإبداع هو التدمير.

لمواجهة القلق الناتج عن الوحدة، يلجأ الأفراد إلى:

- **السلطوية(Authoritariansm):**الخضوع لقوة أكبر أو السيطرة على الآخرين.
- **التدميرية(Destructiveness):**محاولة القضاء على العالم الخارجي.
- **الامتثال الآلي(Automaton Conformity):**التخلي عن الذات والذوبان في الجماعة(عبد الرحمن،2020).

2. أنماط الشخصية:

- **الأنماط غير الإنتاجية:** (التلقي، الاستغلال، الادخار، التسويق).
- **النمط الإنتاجي:** هو الشخص الذي يحب، يبدع، ويفكر بعقلانية، ويحقق توازنا بين فرديته، وانتمائه للمجتمع.(منصور،2019)

- خاتمة:

لقد نقل هؤلاء العلماء التحليل النفسي من "غرفة الفحص" أو إلى " المجتمع"، أكدوا أن الشخصية ليست مجرد صراع بين غرائز داخلية، بل هي نتاج تفاعل مستمر مع الآخرين ومع الثقافة السائدة. هذه الرؤية مهدت الطريق لعلم النفس الاجتماعي الحديث وللعلاجات النفسية التي تركز على العلاقات.